

المبدع الكبير محمود سعيد في ثلاثيته الملحمية سمات فنية وجمالية باهرة

حسين سرمك حسن

بغداد



في عام 2008 حقق المبدع العراقي الكبير محمود سعيد إنجازاً سرياً عراقياً وعربياً وعالمياً فذاً حيث اختار موقع (شؤون المكتبة - Al-brary) وهو مجتمعة من المتطوعين منبئين في جميع أنحاء العالم يقومون كل ما يكتب باللغة الإنجليزية أو ما يُترجم إليها (192) رواية كإفضل ما أُنتج في مجال الرواية خلال قرن كامل. وحصلت رواية محمود سعيد "أنا الذي رأي" على أربع نجوم من خمسة، لتكون إحدى أفضل إثنين وخمسين رواية في العالم. وهذا الإنجاز هو وسام يوضع على صدر الفن السريدي العراقي.

وفي عام 2008 أيضاً، حقق محمود سعيد إنجازاً روئياً آخر يُضاف إلى رصيده السريدي من ناحية، وإلى مسيرة الفن الروائي العراقي من ناحية أخرى، وذلك عندما أصدر "ثلاثية شيكاغو"، وهو عمل نوّ نفسه ملحمي، يتكون من ثلاثة أجزاء هي:

- 1- أحافة التيه
- 2- أسدورا
- 3- زبطة وسعدان

صلة بهموم مجتمعه خصوصاً والام الإنسان المفقور في كل مكان عموماً.

لقد تمسك محمود سعيد -ومنذ أعماله الأولى -بهموم ومحن الإنسان العراقي المسوق وانتصر لها حتى وهو يرصد إنكساراته الموحجة ، مؤكداً أن على الفنان أن لا يتعالى على هموم الإنسان ، وأن يكون -من دون أن يغفل- الإستراتيجيات الفنية واللغوية والاجتماعية طبعاً -في خندق هذا الإنسان في أي زمان وفي أي مكان لا وتحت أقسى الظروف. وكيف لا ينتصر لإنسان أرضه، وهو الذي كان شعار حياته -ومنذ مرحلة مبكرة في نشاطه الإبداعي - ومايزال الانتصار للإنسان المفقور في وجه الطغيان والاذلال والإنسحاق، والذي عبر عنه بقوله :

حق الظلوم

(أنا مستعد للوقوف مع أي مظلوم حتى يتألم حقه، ولو كان الظالم أخي. إنني أؤمن بحق كل الناس بالعيش متعصياً محترماً في رواياتي) (2).

ولو لاحظنا الإنتاج الروائي الغربي فسوف نلاحظ أن موضوعات الغالبية المطلقة من الروايات هي موضوعات فانتازية واسطورية ويوليسية وغرائبية يكتبها أغلب الكتاب وعينهم على هوليبود. وآخر ما يتم التفكير فيه هو أن للإنسان

هموما اجتماعية ونفسية واقتصادية وطبقية. والمصيبة أن بعض الكتاب العرب قد فهموا اللعبة ، فبدأوا في مساعدهم للحصول على ترجمة أعمالهم والإنتشار في الغرب -وهو مسعى مشروع بالتأكيد- يكتبون النصوص الروائية التي تتحدث عن الجنس والإنحرافات والقهر الطائفي والديني في مجتمعاتهم تماشياً مع الموضوعات المركزية التي تروج لها الآلة النقدية الغربية الهائلة وهي الجنس الشاذ منه خصوصاً كالعلاقات المحارمية والجنسية (المثلية) والعنف ، ووصم المجتمعات العربية والإسلامية بالخلف وقهر المرأة ومصاردة الحريات ، ونخب الجذور الطائفية والمهذبة عبر لعبة "الوثائق" والكنوز المظنونة والمخاضات على طريقة "شفرة دانفشي" الرواية التوراتية مثلاً ..

إخ. وفي قلب المجتمع الذي يمثل الأنموذج المغوي والخارق لهذا التوجه الهادر -وهو المجتمع الأمريكي- يقف محمود سعيد الساكن في شيكاغو منذ عقود صامداً ومصراً بعزم وثبات على إيمانه بأن الأدب يجب أن يسخر ملاحقة تحولات حياة الإنسان وخيالاته وإحباطاته ، وأن على الأديب مسؤولية كبرى في هذا العالم الجائر. وقد فرض عليه هذا الإيمان الراسخ أن يبقى على شطآن المدرسة الواقعية -طبعاً ليست الواقعية الفنية- التي هي واقعية حديثة بوصف دقيق، وارتباطاً بالموقف من الواقعية وبراءة "أنا روبري"، فقد عقب الروائي "حنه مينه" في مؤتمر الروائيين العرب والفرنسيين الذي انعقد في باريس في عام 1988 على محاضرة الروائي "أنا روبري" غربية التي انحازت كما هو متوقع إلى رواية الأشياء بدلاً من رواية الواقع حيث قال :

رفض الالتزام

(إنني أحترم السيد الأنا روبري غربية وأفروءه، لكني وجدت في كلامه شيئاً من التناقض لعله يكون ناتجاً عن الترجمة. فهو مرة يقف ضد الالتزام ، ومرة يقول إنه لا يرفض الالتزام ، وهو يقول أيضاً إن من شأن الأدب أن يطرح أسئلته على العالم. وهذا صحيح ، فأي عمل أدبي وأي رواية لا يطرحان التساؤلات لا تكون لهما أية قيمة فنية. لقد حمل السيد الأنا روبري غربية على الواقعية وقال إن هناك كتاب واقع وليس كتاب واقعية ، وأنا أقول الواقعية شيء كبير في



أغلفة الثلاثية لمحمود سعيد

حياة الرواية. ليس في الزمن القديم فقط وإنما في الوقت الحاضر أيضاً . لكن لدى هنا ملاحظة : لقد سئل بابلو نيرودا مرة : لماذا لا تكتب عن الزهور؟ فجاب : انظروا إلى الدماء في شوارع الشيبلي. ونحن الذين نعيش قضايانا ساخنة ولاهبة لا نستطيع إلا أن نكتب عنها . نحن لا نستطيع إلا أن نقول للذين يريدون مع الشوارس. وعلى طريقة أمهاتنا الأصمات اللادائيات في التعبير : (الذي يطلع من داره ، يقل مقداره).

طبيعة المجتمع

لكن ثلاثية محمود سعيد، هذا العمل الضخم (أكثر من 680صفحة) ، تكشف بلا تردد وبلا لبس، طبيعة المجتمع الأميركي الفردوسي الذي منى المهاجر العراقي نفسه به طولياً، كحجيج لا يطاق، ومصدر ضغوط جسيمة يواجهها في محاولة التكيف مع طبيعة الحياة فيه. فبرغم توفير الجواز والكرامة إلا أن الكثير من المهاجرين العراقيين -في العينة التي عرضها محمود سعيد على الأقل -يواجهون ضياع "لذات" ذاتهم ، في مجتمع يقوم على أساس "فصل الدال عن المدلول" ولا نهائية المعنى وصولاً إلى ضياعه، ويسوي بين الإنسان والمادة . والثلاثية أيضاً هي محاولة مفردة للغوص في أعماق نفسية المهاجر العراقي تحديداً، وما يعانيه من تحولات مصاعب، ويواجهه من تحولات بعضها يبدو مستحيلاً لأنه يخالف



الطبيعة البنوية لشخصية هذا المهاجر. فهي لا تتردد في الإمساك الحازم بمواضع الاختلالات العميقة في شخصية المهاجر والتي يأتي محملاً بها من وطنه الأم فتركب حياته في البلاد الجديدة. وهي -أي الثلاثية- كشفت لما يجري في مجتمعات هؤلاء المهاجرين من سلوكيات وصراعات وأفعال ملتبسة ومقلقة جعلتهم نموذجاً ينطبق عليه المثل العامي عن الكائن الذي "يضع المشيتين" بكل ما يعنيه ذلك من ضياع وخيبة وصراعات. وعلى الرغم من أن المكان الذي اختاره محمود بنجاح هو شيكاغو الولاية الأميركية التي يعيش فيها منذ عقود والتي عرف تفاصيلها كدليل مقدر ، إلا أن الثلاثية وخصوصاً في جزءها الأخير هي بحث في معاناة المهاجر العربي إلى أي بلد غربي بشكل عام. فهو يدرك أن "الرحيل" -أي رحيل -يعني قليلاً من الموت. وهناك سمات فنية وجمالية باهرة على المستوى الغوي والتصوري ، وعلى مستويات اللعب على أوتار الضمائر الساردة وموضوعة الزمان والمكان ميزت بناء هذا العمل باجزائه الثلاثة التي جعلنا الروائي الفدير نتعرف على ملامحها في تحليلنا لوقائعها وسلوكيات شخصياتها وتقديرات علاقاتها والتشابك المشوش لعالمها الداخلي بالعالم الخارجي تحية للمبدع الكبير "محمود سعيد".



محمود سعيد

السورية نجاح ابراهيم :

الأدب النسوي في تراجع



سعيد علي الاسدي

البصرة

على الولد المقاتل على خطوط النار ، ومواساة من حولها من المفقوعين، ناسبة ان قلمها سلاح لها ولوطنها في هذه الظروف. إضافة إلى التفكير بكيفية العينة في ظروف قاسية، طبعاً فمة أدب نتج في هذا الوقت من أقاليم نسوية لكنه قليل وحبي، لكن ما هو لافت الكتابة الرخيصة السريعة التي أفرزتها الحرب وأظهرت متسلقات بدان بترويج أنفسهم داخل وخارج سوريا، وأظن أن القنارئ العربي أو العربي اكتشفهن ، وبمقدوره غريبتين دون عناء.

ما هو تقييمك للتجربة الثقافية

سوى معلمتي حين تميزت بمواضيع الانشاء، ثم خطوط.. كتبت الشعر ولم أصدر ديواناً إلا بعد أن صدر لي مؤلفات في شتى الأجناس الأدبية ، وبعد ثمانية عشر مؤلفاً أصدرت متنوعة ، أنها ضيفت حواراً في هذا العدد الأدبية السورية (نجاح

إبراهيم) تعالوا لننتعرف عن تجربتها الأدبية عن قرب.

كيف تقدم الأدبية نجاح إبراهيم نفسها للعرب والعراقيين؟

الأدبية سورية تكتب الرواية والقصة والشعر والنقد والدراسة الأدبية، لها عشرون مؤلفاً، ترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات، كتب عنها بشكل دراسات نشرت في الصحف والمجلات، وكتب تمت طباعتها. لديها العديد من المخطوطات التي تتوسل وقتاً وبشكل آخر أقدمها بأنها امرأة خزنت في حنجرتها صرخة أطلقتها ، فكان للصوت صدى ، ومما أفرحنا أن أظافرها التي غرزتها بالصخر خرجت منه غير مدماة ، بل كان الحبر يوقد بعد كل نض عيدا ، فصار في جعبتها تلال من الأعياد .

حديثي بداية عن مسيرتك الشعرية

- نتيجية عزلة طفولية أسبلت جذران غرقتي ليورق التامل ، وذلك بعد أن رفضوا الإصغاء لي حكايتي، وهي أنني خلقت في جيل سابق، وكتبت ملكة ذات رعوية وعرش وامداد، ولما وجدت عزاء سوى الكتابة . في الصف الخامس بدأت الحفر في الصخر ، ولا من يقرا لي

والشعرية العراقية ؟

- حسب مشاركاتي في مهرجانات عراقية ، واطلاعي على الأدب العراقي سابقاً والأز، وجدت في العراق منتجاً للثقافات ،طاحونة مستمرة، ولا عجب؛ كان وما زال ... فالمبدعون يتابعون ويجهدون ، فلا توقفهم حرب ولا يحجزهم مانع عن الإبداع . القصيدة العراقية متأثرة شكلاً ومضموناً، والرموز الأدبية حاضرة مع الهواة ، مشجعة العمري ، ولكن أبرزها كان جائزة عالية على مجمل أعماله ومسيرتي الأدبية هي جائزة تشواروفا العالمية.



غلاف قصائدها الشعرية

كعادتي وأرش العطر في المكان فثمة ولادة قادمة.. لا أكتب البتة في فضاء عام ، مجرد تسجيل فكرة كي لا تتدثر . العزلة هي التي تصقلها وتشرط على انبثاقها وكذلك الصمت الريف .

هل فعلت مستقبل الشعر إلى قصيدة النثر وكيف؟

- أظن ذلك. قصيدة النثر فضاء مفتوح على التأويل، إضافة إلى أنها تناسب العصر ، وبالتالي يتطلب الشعر تغييراً ومستجدات ، ولابد من الخروج عن النمط القديم وابتكار أشكال وأنماط ومضامين جديدة .

قصيدة النثر تستطيع أن تحمل هذه المسألة سواء تحديداً في الشكل أو المضمون أو ابتكار الصور.. لكن هذا لا يعني نيل الماضي ورفضه، وإنما يستوجب توظيفه والاستفادة من الموروث في ولادة جديدة .

لو لم تكني شاعرة فألى أي تخصص سلتجني؟

- لست شاعرة ؛أنا أدبية كتبت في كل الأجناس الأدبية ، في الرواية والقصة والنقد والمقالة الأدبية والشعر . لو لم يهبني الله موهبة الكتابة لاخترت الفضاء العلوي، بمعنى أن أكون مضيئة طيران ، فأنا أشقى الترحال ، ولشد ما يدهشني من يحمل حقيبته ويضي بعيداً ثم يهده الشوق فيعود.

كلمة الختام ، ماذا نقول؟

- كثيراً ما نقرأ هنا وهناك من قصائد أو مخطوطات فنقبض على أخطاء بديهية في اللغة من الأولى أن نتجاوزها وذلك بالمطالعة والمراعاة على كتابتها. فثمة أمر آخر هي السرقات الأدبية الفيسبوكية ، استغرب كيف يضع المرء نفسه بموقع لا يحسد عليه ، لقد سرقت جملي، وعناوين نصوصي بل وحتى تلعفاتي ومخاطبتي لأصدقائي كل التوفيق لمن يحمل الأدب رسالة نبيلة ، ولا يستهين بها، والبقاء لإبداع يحفر عميقاً في الوجدان.

شَهقةُ البرق

كيف ينجد المصلوب من وغدا الضلبي، ويتلقى العين عن برار من برق ووجد؛

تَشغلتني أجداس مجيئك حياة فتدور الأشياء حول الأرض حاملة شهقة النبع كل غلاياها ترتعش مدن من تسابيح من نجمة على ركبتك تتلصق إن قمر في البدين أنا التي أدبت سنايل شقاء بلأح.

حاول زوى تشي بالهواية المدن تميز مهابيلاً على خذي فراشات من البرق النبي

نجاح إبراهيم